نشرة مراقبة النزاع في السودان

خمس أشياء مهمة في هذه اللحظة

4 سبتمبر مايو *2023*

تشكّل نشرة "مراقبة النزاع في السودان" استجابة سريعة للحرب الآخذة في الاتساع في السودان، ويجري إعداد النشرة انطلاقاً من منظور بناء السلام وحقوق الإنسان والعدالة. وسنحاول، مرة كل أسبوعين، التقاط أهم خمس قصص وقعت في السودان. يُرجى مشاركة النشرة على نطاق واسع.

تصدر عن شبكة عاين **و**مركز حقوق الإنسان **و**المرصد السوداني للشفافية والسياسات

أبرز الأخبار في هذا العدد:

- **مستجدات النزاع**. البرهان يقوم بجولة على قواعد القوات المسلحة السودانية في أم درمان وعطبرة ويسافر إلى مصر؛ استمرار حرب المدن في الخرطوم وأم درمان؛ في دارفور وكردفان العنف يتخذ مساراً خاصاً به. بدأ العنف في الأطراف يتخذ ديناميكيات خاصة به، بعيداً عن أجندات المتحاربين.
- **الوضع الإنساني**: ادعاءات باختلاس وسوء إدارة الموارد.
- **التطورات السياسية: خريطة طريق عقار**. ورود تقارير عن تحويل المساعدات الإنسانية عن مسارها وشن هجمات على العاملين في مجال الصحة.
- **اضطرابات داخل حركة العدل والمساواة**: تغيير في قيادة حركة العدل والمساواة يشي بوجود انقسامات أعمق بكثير.
- **استغلال العدالة مرة أخرى**: تدعي القوات المسلحة السودانية أنها ستوصّل المعلومات بشأن جرائم قوات الدعم السريع إلى المحكمة الجنائية الدولية، لكن هل سيؤدي ذلك إلى تعزيز المساءلة بشكل عام؟

1. مستجدات النزاع

البرهان يقوم بجولة على قواعد القوات المسلحة السودانية في أم درمان وعطبرة ويسافر إلى مصر

قام الفريق البرهان، يوم الخميس 24 أغسطس، بزيارات مفاجئة إلى قواعد القوات المسلحة السودانية في أم درمان وعطبرة، وسافر من هناك إلى بورتسودان. وقد أثار ظهوره المفاجئ التكهنات بشأن كيفية تمكنه من الخروج من حصار مقر القوات المسلحة السودانية الذي دام خمسة أشهر. وقد أعطت جولة البرهان على قواعد الجيش دفعة معنوية لمقاتلي القوات المسلحة السودانية ومنحته الشعور بالرضا بظهوره كقائد حرب يحبّه جنوده.

ومع ذلك، ظلت العديد من الأسئلة بدون إجابة، بما في ذلك ما إذا كان خروج البرهان الآمن من مقر القوات المسلحة السودانية جزءاً من صفقة مع الميسرين الأمريكيين والسعوديين لعملية جدة، وبالتالي بمعرفة وتعاون قادة قوات الدعم السريع. ويميل العديد من المعلقين إلى هذا الرأي. وإذا كان الأمر كذلك، فهذا مؤشر على إحراز تقدم نحو توقيع اتفاق لوقف إطلاق نار مُراقَب لمدة ثلاثة أشهر على الأقل، مصحوباً بانطلاق عملية إغاثة إنسانية تشتد الحاجة إليها.

ومع ذلك، يجادل آخرون: إذا كان البرهان قادراً على الإفلات من الحصار بدون مساعدة، فقد يكون عازماً على مواصلة القتال. ويدعم خطاب البرهان في بورتسودان يوم 28 أغسطس هذا الرأي، فقد قال إنه لا ينوي التوصل إلى سلام في أي وقت قريب، وتعهد بمحاربة "الخونة" حتى آخر رجل أو تحقيق النصر الكامل. لكن لهجة البرهان تغيرت في اليوم التالي عندما التقى الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في العلمين، قائلاً: "نحن حريصون على وضع حد للحرب."

نفى البرهان كذلك أن تكون القوات المسلحة السودانية مرتبطة بالحركة الإسلامية السودانية، وهو ما يتناقض بشكل جلي مع الأدلة المتزايدة التي تشير إلى تورّط المجاهدين التابعين للحركة الإسلامية الذين يقودون الهجمات البرية للقوات المسلحة السودانية. ولا شك أن عودة ظهور مجاهدين الحركة الإسلامية السودانية المتشددين والجماعات المتحالفة معها في البلدان المجاورة في الحرب المستمرة قد دقّ ناقوس الخطر ليس في مصر وحدها، بل أيضاً في دول الخليج العربي وفي دوائر مجتمع الاستخبارات في أوروبا والولايات المتحدة.

حرب المدن في الخرطوم وأم درمان

في تطور بارز، شنت قوات الدعم السريع، في 20 أغسطس، هجوماً كبيراً على قاعدة المدرعات المترامية الأطراف التابعة للقوات المسلحة السودانية في منطقة الشجرة جنوب الخرطوم. وتمكنت قوات الدعم السريع من اختراق المحيط الخارجي لدفاعات القاعدة وتشديد حصارها المستمر منذ أسابيع على عدة آلاف من جنود القوات المسلحة السودانية والمقاتلين المتطوعين الذين يدافعون عن القاعدة. ولا تزال معركة السيطرة على سلاح المدرعات مستمرة وستستمر في إيقاع خسائر فادحة في صفوف المتحاربين والمدنيين في الأحياء المجاورة.

ومن شأن سقوط قاعدة المدرعات في أيدي قوات الدعم السريع أن يمثل انتكاسة كبيرة للقوات المسلحة السودانية وأن يهدد سيطرتها على معاقلها المتبقية في قاعدتي سلاح المهندسين في وسط أم درمان ووادي سيدنا الجوية شمالي المدنية.

كان الطرفان، قبل ذلك، يتقاتلان في أم درمان القديمة. وابتداءً من 8 أغسطس حوّل المتحاربون الأحياء السكنية المكتظة بالسكان هناك، مثل أبو روف وبيت المال وود البنا وودنوباوي، إلى ساحة قتال. وقد قتلت رصاصاتهم وقذائفهم الطائشة في الأيام القليلة الأولى من الاشتباكات عشرات المدنيين، وتسببت في إرسال المئات إلى مستشفى قريب، مما أدى إلى إطلاق نداءات يائسة للتبرع بالدم، ثم لحفر القبور لاحقاً. في اليوم السابق، كانت كل من القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع قد طلبت من السكان مغادرة "أم درمان القديمة" أثناء حشدهم للمعركة. ومنذ ذلك الحين، تحوّلت الأحياء القديمة في المدينة التاريخية إلى مناطق أشباح، حيث يتجول عدد قليل من السكان المتبقين في شوارع مليئة بالجثث للقيام بطقوس دفن جيرانهم معرضين أنفسهم لخطر كبير. وروى أحد الناجين كيف تُرك جاره المعاق ميتاً على كرسيه المتحرك لعدة أيام قبل أن يقوم متطوعو الحي بدفن رفاته بشكل لائق في فناء أحد المراكز الصحية.

بدأت الاشتباكات العنيفة في أم درمان القديمة بهجوم القوات المسلحة السودانية في 8 أغسطس من أجل استعادة السيطرة على كوبري شمبات، وهو أحد المواقع الاستراتيجية الرئيسية لقوات الدعم السريع يسمح لها بربط قواتها في الخرطوم بحري مع تلك الموجودة في أم درمان، وإعادة الإمداد من الأسواق الكبيرة في المدينة. ويمثل هذا الهجوم إحدى الحالات الأولى التي شاركت فيها القوات البرية التابعة للقوات المسلحة السودانية في معركة منسقة مع القوات الجوية وبدعم من مدفعية الميدان. ومع ذلك، صدّت قوات الدعم السريع الهجوم وحافظت على سيطرتها على الجسر بخسائر فادحة في الأرواح مع إصابات في الجانبين وعشرات الضحايا المدنيين.

دارفور وكردفان: عنف يتخذ مساراً خاصاً به

إمرأة فرت من القتال في دارفور (عاين)

قطع القتال الذي اندلع في 17 أغسطس شهوراً من الهدوء النسبي في الفاشر، عاصمة شمال دارفور، حيث لجأ نحو 51 ألف شخص ممن نزحوا قسراً من كتم وطويلة والقرى المجاورة، بعد أن دمرت الحرب مناطقهم في يونيو. وأدت الاشتباكات بين قوات الدعم السريع والميليشيات المتحالفة معها إلى نزوح عشرات الآلاف من المدنيين من كتم وطويلة، مما أجبر الكثيرين على البحث عن مأوى في المدارس والمباني العامة الأخرى داخل مدينة الفاشر، بينما وجد آخرون أماكن لهم داخل معسكرات النازحين.

اندلع العنف في نيالا في 14 أغسطس واستمر لعدة أيام، بعد أن كان يدور متقطعاً لعدة أشهر. وبحسب ما ورد كانت القذائف التي يطلقها الجانبان تسقط في المناطق السكنية. ولقيت خمس عائلات حتفها من بين 39 شخصاً على الأقل أثناء القصف المدفعي المتبادل بين الأطراف المتحاربة في 22 أغسطس. ونزح ما لا يقل عن 50 ألف شخص بعد استئناف الاشتباكات بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع في المدينة.

ناشد سكان الأحياء الجنوبية من نيالا الطرفين السماح للمدنيين بالمرور الآمن بغية التحرك عبر المدينة والوصول إلى المستشفى الوحيد الذي يعمل بكامل طاقته، وهو المستشفى التركي. وأصبح الوصول إلى المواد الغذائية وغيرها من الضروريات محدوداً

بشكل متزايد وبتكلفة لا يطيقها سوى قليل من السكان. وأصبحت معظم الأسواق الرئيسية مغلقة الآن، باستثناء سوق موقف مواصلات الجنينة الذي تحميه القوات المسلحة، والسوق المركزي المفتوح جزئياً بالقرب من قيادة الجيش.

يوضح اشتباكان وقعا في ولايتي جنوب دارفور وغرب كردفان كيف أن العنف في تلك المنطقة اصبح يتخذ طابعاً خاصاً به، كما وصفه مقال رأي صدر مؤخراً عن المرصد السوداني للشفافية والسياسات. وقد اندلع العنف في الحالتين بسبب مقاومة المجتمعات المحلية لعمليات النهب التي أصبحت سمة مميزة لمقاتلي قوات الدعم السريع. وفي الحالتين شارك مقاتلون من مجتمعات تعتبر من الدوائر الصلبة لقوات الدعم السريع.

وفي جنوب دارفور، قُتل وأصيب العشرات في الأسبوع الثاني من أغسطس عندما صد مقاتلون قبليون من قبيلة بني هلبة موجة نهب قام بها مقاتلو قوات الدعم السريع الذين ينحدرون من قبيلة السلامات في محلية كوبوم، على بعد 100 كيلومتر جنوب غرب نيالا.

بدأت أعمال عنف شديد في الفولة، عاصمة ولاية غرب كردفان، في 17 أغسطس، عندما أوقفت الشرطة مقاتلين محليين من قوات الدعم السريع من قبيلة المسيرية في طريق عودتهم من المعركة في الخرطوم بشاحنات محملة بأشياء ثمينة مسروقة فنزعت سلاحهم وقتلتهم لاحقاً. ورداً على ذلك، انضمت قوات الدعم السريع إلى أبناء عشيرة المقتولين لمهاجمة واقتحام معسكر شرطة الاحتياطي المركزي. وفي الأيام القليلة التالية، عمّت الفوضى العنيفة المدينة استغلالاً للغبن المحلي ضد الحكومة المركزية بسبب إهمالها. وأسهمت هذه الضغائن التاريخية في ضراوة الهجمات على رموز السلطة الحكومية. فتعرضت العديد من المكاتب الحكومية، بما في ذلك إدارة السجلات العامة ومقار الشرطة والمخابرات العامة والبنوك التجارية والأسواق المحلية للنهب والحرق، وكذلك مكاتب ومركبات وكالات الإغاثة.

تمكّن الوسطاء المحليون، حتى الآن، من إقناع جميع الأطراف بوقف موجة التدمير الذاتي. وأنشأت مبادرة شبابية تحث على إعادة المسروقات نظاماً يمكن من خلاله للجناة إعادة الأشياء المسروقة بدون الخوف من الانتقام. وقد لاقت هذه الجهود بعض النجاح، حيث تمت إعادة عدد من أصناف المسروقات إلى المستشفى الرئيسي ومؤسسات الدولة الأخرى، وفقاً لمصادر محلية داخل المدينة. إلا أن المستشفى الرئيسي لا يزال مغلقاً، مما يُجبر المرضى على السفر لتلقي العلاج في بابنوسا المجاورة.

يشكّل امتداد النزاع إلى غرب كردفان أمراً مثيراً للقلق بشكل خاص بسبب خطر إثارة المواجهات الإثنية. إذ لا يزال احتمال وقوع اشتباكات بين قبيلتي المسيرية والحمر مرتفعاً. وقد تحالف المسيرية إلى حد كبير مع قوات الدعم السريع، بينما تحالف الحمر مع الجيش الوطني. وتعتقد بعض المصادر أن النزاع في غرب كردفان هو أمر دبّره أعضاء النظام السابق لزعزعة الاستقرار في المنطقة التي تحظى قوات الدعم السريع بدعم كبير فيها. وتقول المصادر نفسها إن هذا سيساعد على منع تدفق المزيد من قوات الدعم السريع إلى الخرطوم.

شهدت ولاية شمال كردفان أيضاً عودة إلى القتال بعد فترة هدوء استمرت أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع، حيث تبادلت قوات الدعم السريع والقوات المسلحة السودانية إطلاق النار ليس فقط في مدينة الأبيض، ولكن أيضاً في المناطق المحيطة بها. وتنتشر قوات الدعم السريع عند مدخل مدينة الأبيض والطرق الوطنية بينما يتمركز الجيش بالقرب من القيادة العامة وسط المدينة موفراً الحماية للمطار والسوق الرئيسي. وحتى وقت قريب، دفع الاستقرار النسبي داخل مدينة الأبيض السلطات إلى إعادة تشغيل البنوك والأسواق والمؤسسات الأخرى.

أدى الإضراب المفتوح الذي بدأه الأطباء في 3 أغسطس إلى تراجع طاقة عمل المستشفيات إلى النصف، إذ انعدمت معظم خدمات العلاج الأساسية. وفي 30 أغسطس، وقع هجوم على المستشفى الكويتي في الأبيض، حيث استولت قوات الدعم السريع على الإمدادات الطبية المستلمة لتوها وعلى النقود والمركبات. وفي هجوم مضاد، أدى القصف الخطير إلى مقتل ما يقرب من عشرين مدنياً. وقد أثرت سيطرة قوات الدعم السريع على الطرق المؤدية إلى الأبيض بشدة على حركة السكان – حيث فُرضت العديد من الرسوم غير القانونية والحواجز. ونجح الوجهاء المحليون في إقناع وحدات قوات الدعم السريع في جميع أنحاء المدينة بالسماح بالمرور الآمن لفنيي إمداد المياه للتأكد من صيانة محطات المياه بالشكل الصحيح خلال موسم الأمطار، وهي المحطات التي توفر المياه للمدينة.

في جنوب كردفان، واصلت الحركة الشعبية لتحرير السودان – قطاع الشمال حصارها لطريق كادوقلي – الدلنج، مما أدى إلى تفاقم نقص الغذاء.

ولعل إحدى الإشراقات القليلة في النزاع الحالي هي إحياء الفعاليات الثقافية والأنشطة الفنية المتنوعة التي تُعقد في مناطق خارج العاصمة. إذ أُعيد في أغسطس افتتاح سينما كوستي بولاية النيل الأبيض، على سبيل المثال، بعد إغلاقها لمدة 27 عاماً. ويجري الإعداد لعروض للفنون التشكيلية ولعروض مسرحية في ود مدني بولاية الجزيرة، بما في ذلك مسرحية "متاريس" التي تصوّر تجارب السودانيين الذين يعيشون في النزوح. ويمتد الحراك الثقافي والإبداعي إلى مدن القضارف وكسلا وبورتسودان شرقي البلاد، التي شهدت مؤخراً ندوات ثقافية وفكرية واسعة، تخللتها دعوات ضمنية لوقف الحرب في السودان. وتنتشر على قنوات التواصل الاجتماعي مشاهد كوميدية ساخرة ومظلمة حول تأثير احتلال قوات الدعم السريع للمساكن الخاصة وأمور أخرى.

2. الوضع الإنساني ومزاعم سوء الإدارة

شاحنات برنامج الغذاء العالمي

لا يزال الوضع الإنساني في السودان مستمراً في التدهور. فقد ارتفع عدد النازحين إلى 4.8 مليون شخص، أي أكثر من 10% من السكان. واستنفد العديد من المدنيين مدخراتهم، بما في ذلك العديد موظفي الخدمة المدنية الذين لم يتلقوا رواتبهم منذ اندلاع النزاع. ومع ذلك لم يتجاوز تمويل خطة الاستجابة الإنسانية التي وضعتها الأمم المتحدة 26.4%.

مزاعم اختلاس وسوء إدارة إمدادات الإغاثة إلى دارفور

استمر سوء تخصيصي إمدادات الإغاثة في عرقلة تدفق المساعدات، وسط تحذيرات شديدة من أن ما يقدر بنحو 20.3 مليون سوداني، أي ما يقرب من نصف السكان، يواجهون الجوع الحاد المستفحل الذي سببته الحرب وانعدام الأمن والنهب على نطاق واسع.

كان أبرز مثال على ذلك هو شكوى حاكم إقليم دارفور ميني ميناوي مراراً من عدم وصول أي إمدادات إغاثة مما تم إيصاله إلى بورتسودان إلى منطقته حتى الآن. وكشف أحد الناشطين في مجال مكافحة الفساد في منشور على وسائل التواصل الاجتماعي بتاريخ 14 أغسطس عن كيف حدث ذلك من خلال تتبع حركة 13 شاحنة أرسلت من بورتسودان تحمل 350 طناً من الحصص الغذائية الفردية التي تبرعت بها الإمارات العربية المتحدة بغرض توصيلها إلى أجزاء مختلفة من دارفور. وبحلول منتصف أغسطس كانت تسع شاحنات تحمل 294 طناً من أصل 350 طناً، لا تزال عالقة في مدينة كوستي بوسط السودان، معرضة للأمطار والشمس، مما يهدد بفقدانها بالكامل. وزعم المنشور إساءة إدارة واختلاس الأموال التي أفرجت عنها وزارة المالية لصالح وزارة التنمية الاجتماعية، لدفع تكاليف نقل مواد الإغاثة. ولم تنكر أي من الوزارتين هذه الادعاءات أو ترد عليها.

في غضون ذلك، أعلن مكتب حميدتي إنشاء هيئة إغاثة تابعة لقوات الدعم السريع سميت الوكالة السودانية للإغاثة والعمليات الإنسانية في 13 أغسطس. والمنظمة مكلفة بـ "تعزيز وتنسيق عمليات الإغاثة والعمليات الإنسانية" في المناطق الخاضعة لسيطرة قوات الدعم السريع. ويكشف القرار المصاغ بإحكام عن تطلع قوات الدعم السريع إلى الاعتراف بها كسلطة فعلية تسيطر على أعداد كبيرة من السكان ومساحات واسعة من الأراضي في غرب السودان والعاصمة الوطنية. ومع ذلك، فالكثير من "الظروف الإنسانية الرهيبة والكوارث التي نشأت بسبب الحرب المستمرة" التي ذُكرت في أمر تأسيس الوكالة كمبرر لإنشائها هي نتيجة مباشرة للانتهاكات المنهجية واسعة النطاق التي ترتكبها قوات الدعم السريع، بما في ذلك حملات التطهير العرقي والقتل العشوائي. وغيرها من الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان في دارفور، وليست نتيجة ثانوية لتصرفات القوات المسلحة السودانية وحدها كما يزعم أمر التأسيس.

3. التطورات السياسية: خارطة الطريق التي طرحها عقّار

في 15 أغسطس، اليوم الذي يصادف بداية الشهر الخامس للحرب في السودان، خاطب نائب رئيس مجلس السيادة مالك عقّار الأمة في خطاب متلفز قال فيه إنه على الرغم من عدم وجود نهاية للحرب في المدى المنظور، فقد وضعت الحكومة خريطة طريق للسلام، وأن المرحلة الأولى ستتطلب انسحاب قوات الدعم السريع من المناطق الحضرية ووضع ترتيبات أمنية لتسوية وضعها. وأشار إلى أن المساعدات الإنسانية لضحايا الحرب "تأتي تالية لذلك". ووفقاً لعقار، فإن الظروف الحالية تدعو إلى تشكيل "حكومة تصريف أعمال" للتركيز بعد ذلك، في جملة أمور، على استئناف الخدمات الأساسية المنهارة وضمان دفع رواتب العاملين في القطاع العام. كما ستعقد عملية سياسية شاملة لرسم مسار البلد نحو الديمقراطية.

اكتسبت خريطة الطريق التي طرحها عقّار أهمية جديدة بعد مغادرة البرهان مقر القيادة العامة للقوات المسلحة السودانية المحاصر. وأصبح واضحاً أن مخطط عقار يمثل السياسة الرسمية لـ "حكومة السودان". ومع ذلك، فإن تأكيد هذه الخطة أن

النزاع لن ينتهي إلا "على طاولة المفاوضات" يتعارض مع وعد رئيس عقار وقائد القوات المسلحة السودانية الفريق البرهان بتحقيق نصر حاسم على قوات الدعم السريع في خطاب وجهه إلى الأمة قبل يوم من خطاب عقار، ومرة أخرى في خطابه أمام مقاتلي القوات المسلحة السودانية في بورتسودان المشار إليه أعلاه. ومع ذلك، يمكن اعتبار موقف البرهان المتشدد أمر ضروري له من أجل استعادة سلطته كقائد أعلى للقوات المسلحة السودانية، الأمر الذي من شأنه أن يمنحه سلطة إعادة الانخراط في مفاوضات جدة وإبرام اتفاق لوقف إطلاق النار في نهاية المطاف من شأن القوات المسلحة السودانية أن تلتزم به بشكل فعال.

عزا عقّار الأسباب الجذرية للصراع إلى سوء إدارة التنوع في السودان وإرث الفساد الكبير في ظل الحكومات المتعاقبة الذي بلغ ذروته إبان النظام الإسلامي للرئيس المخلوع عمر البشير. وفي رسالة صريحة إلى الإسلاميين وحزب المؤتمر الوطني، قال: "لا أريد ولا أحد يستطيع أن يزايد عليكم في سودانيتكم ولا في ممارسة حقوقكم الكاملة ككل السودانيين. وقد أتيحت لكم بطريقة أحادية ادارة الدولة السودانية لثلاثين عاماً وليس هنالك مؤرخ باستطاعته أن يتجاوز في كتاباته أن أثناء حكمكم انفصل الجنوب وهذا قليل من كثير." وردّت الحركة الإسلامية السودانية ببيان ناري، وشككت في جدارة عقار، وأكدت التزامها بالقتال "خلف المؤسسة العسكرية في المعركة من أجل كرامة الوطن".

ومن المثير للاهتمام أن البرهان نفى في الكلمة التي ألقاها في مصر بحضور الرئيس السيسي أن يكون الإسلاميون قد اختطفوا عملية صنع القرار في القوات المسلحة السودانية من قيادة الجيش. وبالنظر إلى التطورات السابقة، يبدو أن خطابي عقار والبرهان كانا جزءاً من خطة للنأي بنفسيهما عن الإسلاميين، مما يمهد الطريق أمام البرهان للتأكيد على حق القوات المسلحة السودانية في الاحتفاظ بدور موثوق في إدارة فترة ما بعد الحرب على هدى خريطة الطريق التي طرحها عقار. ومن شأن خريطة الطريق أن تساعد في تعبئة قاعدة سياسية جديدة تدعم لعب القوات المسلحة السودانية لدور قيادي بعد الحرب.

4. الاضطرابات داخل حركة العدل والمساواة

يُنظر إلى قادة حركة العدل والمساواة على نطاق واسع بوصفهم مؤيدين لحزب المؤتمر الشعبي المنشق الذي شكله الترابي عقب الانقسام عن حزب المؤتمر الوطني الحاكم. وبعد 23 عاماً من تشكيلها، تشهد حركة العدل والمساواة انقساماً آخر.

قام جبريل إبراهيم، رئيس حركة العدل والمساواة والقائد الأعلى لقواتها ووزير المالية، بإقالة أربعة من كبار مسؤولي الحركة في 14 أغسطس هم سليمان صندل، مسؤول ملف الترتيبات الأمنية في حركة العدل والمساواة؛ وأحمد تقد، كبير مفاوضيها؛ وآدم عيسى حسبو، رئيس فرع الحركة في كردفان؛ ومحمد حسين شرف نائب الأمين لشئون التنظيم والإدارة. وبينما لم يذكر الإعلان سبب القرار، قالت المصادر إن القادة أجروا مشاورات غير مصرح بها مع قوات الدعم السريع.

ورأى الكثيرون أن قرار جبريل بمثابة خطوة استباقية لمواجهة انقسام وشيك بواسطة القادة الأربعة. فالتوترات كانت تختمر لبعض الوقت. وقد أدان صندل، في تغريدات بتاريخ 11 أغسطس، دور "طرف ثالث" يغذي الحرب سراً من خلال هندسة حملاته الدعائية والتعبئة التي يقوم بها من خلال إرسال مقاتلين لدعم القوات المسلحة السودانية في المعارك – في إشارة تكاد تكون مكشوفة إلى الحركة الإسلامية السودانية وكتائبها الجهادية. وفي الوقت نفسه، ورد أن زعيم حركة العدل والمساواة ساعد كبار قادة الحركة في حشد المجندين لصالح الجيش في شرق السودان.

أقال القادة المطرودون وأنصارهم جبريل إبراهيم في 30 أغسطس، وانتخبوا سليمان صندل ليحل محله. وقد اعتذر صندل في أول خطاب علني له إلى الشعب السوداني عن مشاركة حركة العدل والمساواة في تنظيم انقلاب أكتوبر 2021 الذي عرقل جدول أعمال التغيير الذي اضطلعت به الحكومة الانتقالية وأعاد إحياء نظام حزب المؤتمر الوطني/الحركة الإسلامية المخلوع.

وفّرت أحداث حركة العدل والمساواة دليلاً آخر على الدور المركزي للحركة الإسلامية السودانية في المجهود الحربي للقوات المسلحة السودانية، بما في ذلك قيادة الدعوات على وسائل التواصل الاجتماعي لمواصلة الحرب والحملة المصاحبة لذلك والرامية إلى تجنيد المتطوعين والوحدات القتالية التابعة للحركة الإسلامية للانضمام إلى صفوف القوات المسلحة السودانية. وتماشياً مع دورهم المعترف به علناً الآن، يطلق مروجو دعاية الحركة الإسلامية العنان وابلاً يومياً من الهجمات القبيحة على المطالبين بإنهاء الحرب، ويصورونهم بوصفهم خونة ومتعاطفين مع قوات الدعم السريع. ويقع المنافسون السياسيون للحركة الإسلامية في قوى الحرية والتغيير – المجلس المركزي دائماً في مركز تنشين الإسلاميين.

5. الاستخدام الذرائعي للعدالة مرة أخرى

أعلن الفريق البرهان، في أغسطس، عن تشكيل لجنة لتوثيق انتهاكات قوات الدعم السريع منذ بدء الحرب وإجراء التحقيقات بشأنها. وأصدرت هذه اللجنة منذ ذلك الحين أوامر اعتقال بحق عشرات الأشخاص المنتمين إلى قوات الدعم السريع، بمن فيهم حميدتي وشقيقه. كما أعلنت القوات المسلحة السودانية علناً أنها تعتزم التعاون مع المحكمة الجنائية الدولية في تسليم معلومات بشأن جرائم قوات الدعم السريع.

ويظهر هذا الإعلان أن القوات المسلحة السودانية تستخدم العدالة استخداماً ذرائعياً بالتركيز فقط على الانتهاكات التي ترتكبها قوات الدعم السريع وليس تلك التي يرتكبها مقاتلوها، التي تشمل، مثلها مثل انتهاكات قوات الدعم السريع، جرائم خطيرة تقع ضمن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية.

ما هي دلالات هذا الإجراء؟ فسلطات القوات المسلحة السودانية، مثل أي منظمة أو فرد، لها الحق في إرسال المعلومات إلى المدعي العام، لكن الأمر متروك للمدعي العام في نهاية المطاف ليقرر أي القضايا يجب متابعتها أو عدم متابعتها. وفي الوقت الحاضر تقتصر قضية السودان في المحكمة الجنائية الدولية على دارفور، لكنها لم تعد مقتصرة على الفظائع التي ارتكبت قبل عشرين عاماً. فقد أعلن المدعي العام، في 13 يوليو، أن مكتبه سيحقق في الجرائم المستمرة المرتكبة منذ اندلاع الحرب في أبريل بهدف لملاحقة مرتكبيها قضائياً.

ارتكبت قوات الدعم السريع جرائم بشعة ليس فقط في دارفور، بل في الخرطوم وأماكن أخرى من البلاد. وإذا كان المسؤولون السودانيون جادين في إشراك المحكمة الجنائية الدولية في السعي لتحقيق العدالة، فيجب على سلطات الأمر الواقع التي يرأسها البرهان قبول اختصاص المحكمة في جميع أنحاء البلد. ويمكن القيام بذلك عن طريق تقديم إعلان قبول الاختصاص بموجب المادة 12 من نظام روما الأساسي. ومن خلال قيام هذه السلطات بذلك، فمن شأن ذلك أن يمثل دعوة للمحكمة الجنائية الدولية لتمارس اختصاصها في الخرطوم.

لكن تعاون السودان لا يمكن أن يكون انتقائياً. وسيكون مطلوباً من السلطات – كما وعد البرهان ورئيس الوزراء السابق حمدوك خلال الفترة الانتقالية قصيرة الأمد في السودان – تقديم التعاون الكامل بما في ذلك تسليم المشتبه بهم الحاليين لدى

المحكمة الجنائية الدولية وهم الرئيس السابق عمر البشير ووزير الدفاع السابق عبد الرحيم محمد حسين، وكلاهما ورد أنهما محتجزان لدى القوات المسلحة السودانية، وأحمد هارون، الذي شوهد آخر مرة طليقاً وهو يخاطب كوادر حزب المؤتمر الوطني والحركة الإسلامية في كسلا.

بدأ هارون وغيره من المشتبه بهم لدى المحكمة الجنائية الدولية من قادة النظام السابق حملة تجنيد في شرق السودان، بهدف تجنيد 15 ألف مقاتل في ولايات الشرق الثلاث (بورتسودان وكسلا والقضارف). وتقول مصادر محلية إن عملية التجنيد تستهدف إثنيات معينة مما قد يؤدي إلى توترات قبلية في مقبل الأيام في إقليم الشرق. وقد أطلق محامون ونشطاء حقوق إنسان حملة لاعتقال المشتبه فيهم أمام المحكمة الجنائية الدولية، مما دفعهم إلى مغادرة كسلا.

للاطلاع على المزيد من المنظمات الشريكة:

المرصد السوداني للشفافية والسياسات

سجّل هنا لتلقي نشرة المركز

- الجحيم الذي لم يخطر على البال لم يأت بعد: حرب السودان الزاحفة، أغسطس 2023
- قنبلة السموم الموقوتة: فوضى التعامل مع السيانيد والثيوريا قبل وبعد الحرب، أغسطس 2023
- العقوبات تصيب خزينة تمويل الحرب في السودان لكن لا تزال هناك حاجة للمزيد من التحركات لإنهاء النزاع الدموي، يوليو 2023

شبكة عاين

تابع عاين على اليوتيوب والفيس بوك وتويتر

- "عنف واعتقال".. أطراف حرب السودان تحاصر مبادرات وقف القتال، سبتمبر 2023
- الطريق إلى أدري: أخطر رحلة في السودان، أغسطس 2023
- كيف تعزز شبكات المساعدة المتبادلة الاستجابة الإنسانية في السودان، أغسطس 2023